بسم الله الرحمن الرحيم

اللغات الإنسانية

النشأة والخصائص والفصائل،

مقدمة:

تُعدَّ اللغة هي اسمى ما حياها الله جل وعلا للإنسان من بين مخلوقاته على سطح الأرض ، إنها نعمة لا تساويها نعمة أخرى، فهي تميز بين الإنسان وسائر المخلوقات الربانية (الإلهية) ، لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وميزه بالعقل، هذا العضو الإنساني الغالي والثمين، لما يقوم به من وظيفة سامية، تتمثل في أنه بمحتوياته وتلافيفه ، قد مكنَّ الإنسان من امتلاك أغلى وأثمن ما يمكن أن يمتلكه إنسان، ألا وهي : المقدرة اللغوية، أو ما يطلق عليها – أيضًا – الكفاءة اللغوية الكامنة تلك المقدرة ، أو الكفاءة ، التي تمكن الإنسان من امتلاك النظام اللغوي، سواء في حالته المخية، (المبنية داخليًا) التي يُطلق عليها: الحالة (صفر) State Zero أم في حالات الأداء الفعلي المنطوق (المجسد) التي يطلق عليها الحالة ١ أو ٢ State one , Two .

وفي إطار الحديث عن نشأة اللغة الإنسانية، التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات ويسمو أيضًا كما أسلفنا ، فإن الدراسة تعني بجهود العلماء ودراساتهم حول هذه النشأة، وهل كانت اللغة الإنسانية واحدة يتكلم بها آدم عليه السلام مع حواء، في بداية الخلق، وأنها قد تفرعت وتعددت إلى لغات كثيرة، من العسير عدها أو حصرها !!

لقد اصطبغت تلك الجهود بالصبغة الذاتية تارة والقومية أخرى، والدينية كذلك، حيث جعل بعضهم اللغة القومية لديهم هي اللغة الأم ؛ التي تكلم بها آدم عليه السلام، أو أنها اللغة التي يتكلم بها البشر يوم القيامة أو في الجنة أو في النار !! تلك الآراء جميعها لا تستند إلى دليل علمي دقيق، ورد في الكتب السماوية، يؤكد ذلك.

وتعنى الدراسة بتقديم تلك الآراء والجهود، من خلال تلك النظريات المشهورة التي سجلها العلماء حول تلك النشأة.

كما تعني تلك الدراسات – أيضًا- بتقديم الخصائص التي ذكرها العلماء ولتلك اللغة الإنسانية ، وما تتميز به وتختص عن لغة الحيوان (من قبيل التجاوز) فقد أجمع العلماء بأن الحيوان لا لغة له ألبته، حيث يقول ديكارت : إن من يمتلك عقلاً، يمتلك لغة، وأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمتلك عقلاً ، وأن الحيوان لا عقل له ، فالحيوان لا لغة له.

لقد تباينت آراء العلماء حول خصائص تلك اللغة الإنسانية وتباينت، فثمة آراء ترى بأن اللغة أداة للفكر، وأخرى ترى بأن اللغة هي أداة الاتصال بين متكليمها ، في حين يرى علماء أخرون بأن وظيفة اللغة هي القدرة على الترميز والتشفير، تلك التي تميز لغة الإنسان عن لغة الحيوان، كما أشار إلى ذلك تشومسكي N,chomsky.

كما اهتمت هذه الدراسات – أيضًا – بتقديم عرض واف للفصائل اللغوية، التي اهتم بها العلماء في دراساتهم وجهودهم الدقيقة في إطار معطيات المناهج اللغوية الحديثة، سواء تلك المناهج التاريخية أم المقارنة.

وقد أثمرت تلك الجهود والدراسات عن ظهور اتجاهين رئيسين ، في التوصل إلى الفصائل اللغوية، التي تمثل لغات البشر المعروفة، التي أتيح للعلماء التوصل إليها من خلال النقوش والآثار التي سجل عليها أصحابها تلك اللغات، التي مكنت العلماء من جمعها وفحصها ودراساتها، والوقوف على تاريخها وأحداثها، كما تمكن العلماء من نسبتها إلى فصيلتها الكبرى التي انبثقت منها، وقد آثر بعض العلماء إلى تقسيم اللغات الإنسانية على فصائلها تقسيمًا لغويًا، أي بتحديد الخصائص اللغوية بمستوياتها الأربعة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) وحددوا تلك الفصائل في ثلاث هي :

١- مجموعة اللغات غير المتصرفة أو العازلة : (مثل اللغات في الصينية- السيامية – البورمانية .. إلخ).

٢- مجموعة اللغات اللصيقة أو الوصلية (مثل اللغات التركية – المنغولية- المنشورية- اليابانية ... إلخ).

٣- مجموعة اللغات المتصرفة أو التحليلية (مثل اللغات الفارسية – الهندية- العربية- اللاتينية ... إلخ).

وقد قام رائد هذه النظرية "شليجل" F.Schiegel وتلاميذه بعمل دراسات مقارنة وأخرى تاريخية، وقاموا بتوزيع اللغات الإنسانية على تلك الفصائل اللغوية أو بالأحرى المجموعات من اللغات الإنسانية، وحددوا اللغات المتماثلة أو المتشابهة في تلك الصفات والخصائص اللغوية، على مستوى الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالية.

أما ماكس موللر، M,Müller, فقد قدم تقسيمًا أخر للغات الإنسانية، إنه تقسيم جغرافي بحسب الأماكن والمواضع التي وردت فيها تلك اللغات وقد

قسم ماكس موللر اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل رئيسية بالإضافة إلى مجموعات أخرى لا تنتسب إلى تلك الفصائل ، هذه الفصائل هي:

الفصيلة الهندوأوربية : وهي أكبر الفصائل اللغوية الإنسانية، حيث تجمع اللغات الهندية واللغات الأوربية، وأنها جميعها تنتسب إلى اللغة السنكسريتية باعتبارها اللغة الأم للغات تلك الفصيلة.

الفصيلة السامية الحامية: وهي الفصيلة الثانية من حيث عدد المتكلمين بها، حيث تشتمل على **اللغات السامية** التي تمركزت في قارة أسيا التي قسمها العلماء إلى:

لغات سامية شرقية. وتمثلها اللغات الأكادية بقسيمها: اللغات البابلية واللغات الآشورية .

لغات سامية غربية: وتشتمل على لغات كثيرة نذكر منها : اللغات الكعنانية واللغات الآرامية ، واللغة العربية الفصحى واللغات اليمينة والحبشية.

أما للغات الحامية ، فقد تمركزت في القارة الأفريقية ، نذكر منها : اللغة الهيروغليفية (المصرية القديمة) لغة الجالا ولغة البجة واللغة الصومالية واللغة الليبية واللغات البربرية.

فصيلة اللغات الطورانية: وهي فصيلة من فصائل القارة الآسيوية والأوربية وهذه الفصيلة الثالثة، ليست فصيلة بالمعنى الذي أراده ماكس موللر وإنما هي مجموعة من اللغات التي تشترك فيما بينها في الخصائص اللغوية.

ثمة تقسيمات أخرى قدمها العلماء للغات الإنسانية التي لا تندرج تحت تلك الفصائل التي قسمها ماكس موللر ، وهذه اللغات يمكن إدراجها تحت مجموعات لغوية وهي:

١ – مجموعة اللغات الأورالية – الألتائية.

٢ – مجموعة اللغات المغولية.

٣- مجموعة اللغات القوقازية.

٤- مجموعة اللغات الدرافيدية.

٥- مجموعة اللغات الفيتنامية ولغات المون خمير.

٦- مجموغة اللغات الصينية التبنية.

٧- مجموعة اللغات الملاوية البولينزية.

٨- مجموعة اللغات الكورية.

٩- مجموعة اللغات اليابانية.

١٠- مجموعة اللغات الأفريقية.

وبعد.. فإن هذه الدراسة التي أقدمها للقارئ العربي الكريم، التي تمثل جهدًا بذلناه لجمع محتوياتها على مدار فترة طويلة من الزمن، تربو على خمسة وعشرين عامًا، قدمت بعضها محاضرات جامعية، سواء على مستوى الدراسات العليا أم على المستوى الجامعي الأول. وقمت بتعميقها وتدعيمها ، وإضافة الجديد مما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة، وما تمكنت من توظيفه والإفادة من آلياته ومعطياته لتكون على هذا النحو أمام الباحثين والدارسين في مجالات الدراسات اللغوية.

والله ولي التوفيق

القاهرة في

رجب ١٤٣٦هـ

مارس ٢٠١٥م

أ.د. حسام البهنساوي